الاعجاز القرآني ودلالة افعال الحواس (الذوق واللمس والشم أنموذجاً)

د. بان كاظم مكي السامرائي

ملخص البحث

قامت الباحثة بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: تناولت في المبحث الاول دلالة أفعال الذوق دلالة الفعل (ذوق) ودلالة الفعل (طعم), وتناولت في المبحث الثاني دلالة أفعال اللمس, وأما في المبحث الثالث تناولت دلالة فعل الشم.وختمت البحث بنتائج منها: أن الحواس من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وميزه بها عن الحيوان، فجعلهاوسائل يتمكن بها الإنسان من معرفة خالقه، فيستدل بها على وجوده، وقدرته، وعظمته، ويستمتع بها في حياته، وما يتعلق بآخرته. لذا فإن القرآن كثيراً ما يستعمل تلك الحواس لتحقيق هذه الغاية. فهي بهذا وسائل للمعرفة. وأن القرآن الكريم ذكر الحواس، وهي: (والذوق، واللمس، والشم) على تفاوت في القدر الذي استعمله من كل واحدة منها، فقد دار أكثر ما فيه على الحواس الأربع الأولى، إذ عليها مدار التكليف، فليس الشم نظيراً لها في الأهمية؛ وإن كان نافعاً، بدليل قلة وروده في القرآن الكريم، وذلك في سياق دنيوي، وفي سياق أخروي احتمالاً لا قطعاً. وأن أفعال الحواس وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، وهي صيغ الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، ولكل من هذه الصيغ استعماله الخاص، ودلالته الخاصة، فقد استعمل القرآن -مثلاً- الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) الناهية في المواضع التي ينفي فيها السمع والإبصار عن الكفار، إما بعبارة (لا يسمعون) أو (لا يبصرون). فيفيد استمرار وتجدد نفي السماع والإبصار عنهم.

The Qur'anic Miraculousness and the Semantic Meaning of the Acts of Senses (Taste, Touch and Smell)

Dr. Ban Kazem Mekki Samarai

Abstract

The research is divided into an introduction, three dimensions and a conclusion. In the first dimension, it examines the verbs of taste i.e. its semantic meaning and significance .The second topic deals with the semantic meaning of the touch acts. The third topic deals with the semantic meaning of the verb smell. The study ends up with a number of conclusions: senses are one of the blessings that Allah gives to his humans which distinguish them from animals. Allah makes senses as the means by which a human knows his Creator, induces his presence, ability, greatness, beside enjoying them in life and hereafter. Qur'an often uses those senses to achieve this end, i.e., they are means of knowledge.The Holy Quran mentions the senses with varied amounts, for example ,the sense of smell are the least used of the four senses in the Qur'an because it has its benefit in life only. Furthermore the senses are mentioned in the Qur'an with different verb tenses: Present , past and order. Each tense has its own connotation and denotation for example , the present tense which is preceded by (La alnahya) in positions that shows the end of the unbelievers' listening and seeing .in addition, the clause 'Don't listen" or "Don’t see" is used for the continuation of the action .

الاعجاز القرآني ودلالة افعال الحواس

(الذوق واللمس والشم انموذجاً)

أ.م.د. بان كاظم مكي السامرائي

كلية التربية للبنات - الجامعة العراقية -

المبحث الأول

دلالة أفعال الذوق

(١) دلالة الفعل (ذوق):

مفهوم الذوق لغة : اختيار الشيء من جهة الطعم. وهو مصدر ذاق الشيء يَذُوقه ذَوْقاً وذوافاً ومَذافاً، ثم يشتق منه مجازاً. فيقال ((ذُقْتُ فلاناً، وذَقْتُ ما عنده))[١]،

أي: اختبرتهُ، وكل ما نزل بالإنسان من مكروه فقد ذاقه[٢].

الذوق اصطلاحاً بأنه: ((وجود الطعم بالفم)) وفرق بينه وبين الأكل بقوله: ((وأصله فيما يقل تناول دون ما يكثر، فأن ما يكثر منه يقال له الأكل)). وعلى هذا فإن الذوق أخذُ شيء قليل مما يؤكل أو يشرب، فهو دون الشبع من الطعام ، والارتواء من الشراب.وهو المتعارف عليه في استعمال الناس اليوم في حياتهم اليومية.[٣]

فقد عبّر القرآن الكريم بالفعل الماضي (ذاق) عن الدلالة الحسّية للفعل، وهي دلالة الأكل القليل، حقيقة لا مجازاً، وذلك في قصة آدم – عليه السلام- عندما نُهي عن الأكل من الشجرة المحرمة، ولكن وقع في إغواء الشيطان -لعنه الله- إذ وسوس إليه فأكل

(١) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ). دار صادر – بيروت (د.ت) مادة (ذوق) .١/ ٣٠٥

(٢) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر – بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.٢/ ٣٦٤ ،

(٣) المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعرف بـ(الراغب الأصبهاني) (ت ٤٢٠هـ). الناشر: مكتبة الانجلو المصرية. المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠م. ص ٢٦٤

منها، قال تعالى:] **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ**[(١)والمراد: ((ابتدآ بالأكل، ونالا منها شيئاً يسيراً)).

ويدلنا على أن الذوق هنا يراد به الأكل القليل، ما ورد في سياق آية أخرى، وهو قوله تعالى في سورة (طه):] **فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُما**[(٢) فهذه الآية دلت على أن الذوق الذي ذكر في آية الأعراف، يراد به أنهما أكلا منها فعلاً ، ولكن قليلاً .

وقد استعمل القرآن (الذوق) في مشاهد يوم القيامة ، معبراً عنه بالفعل المضارع (يذوق) ، داخلة عليه لام الأمر وذلك في تصوير حال الكافرين في ذلك اليوم الشديد، وهم يعذبون بماء حار، وبارد زمهرير، فجمع بينهما في تعبير واحد متعاطفين؛ ليشعر بشدة ذلك العذاب الذي في هذا الذوق، فقال:]**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاق**[(٣) وأطلق في هذا السياق لفظ الذوق ؛ ((لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبة فهو أشد إحساسا به))(٤).

وكما استعمل الفعل (ذاق) في القرآن بدلالته الحسّية، استعمل كذلك بدلالته المعنوية، وهي دلالة مجازية ، وارداً على معانٍ عدة، وذلك في سياقين:

أحدهما: سياق الرحمة والنعمة، وهو ضرب من المجاز ، كالذي في قوله تعالى: [**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ**](٥). والمراد بقوله: (أذقنا): ((أحللنا به نعمة من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد،وغير ذلك من نعم

(١) سورة الأعراف ٢٢ .
(٢) سورة طه ١٢١.
(٣) سورة ص٥٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت ٤٨هـ)، دار إحياء التراث - بيروت ١٣٧٩، ٢٣/ ٤٨٣ .
(٥) سورة هود ٩ .

الدنيا))[1]. ففي هذا التعبير المجازي ضرب من التجسيم الفني لما هو معنوي وهو الرحمة حين وصفت بأنها تذاق. وللمفسرين في أطلاق الذوق في هذه الآية ثلاث أقوال:

الأول: أن الله –سبحانه وتعالى– سمّى إحلال اللذات بالإنسان إذاقةً ؛ لسرعة زوالها تشبيهاً بما يذاق، ثم ما يلبث أن يزول[2] .

والثاني: أن لفظ الإذاقة يفيد أقل ما يوجد به الطعم،فكأن المراد: إن الإنسان بحصوله على أقل القليل من الخيرات العاجلة في الدنيا، يقع في التمرد والطغيان، وبإدراك أقل القليل من المحنة والبلية، يقع في اليأس والقنوط والكفران. فمتاع الدنيا قليل، والحاصل منه للإنسان الواحد قليل ، والإذاقة من ذلك المقدار خير قليل .

والثالث: ذكره ابن عاشور، وهو أن مادة الإذاقة هنا اختيرت لما تشعر به من الإدراك لأمر محبوب؛ لأن المرء لا يذوق إلاّ ما يشتهيه .[3]

فمن هذه الأقوال يتضح أن استعمال (الذوق) في الرحمة ، يدل على أن هذه الرحمة التي تصيب الإنسان في الدنيا قليلة قياساً، لما هي عليه في اليوم الآخر.

أما السياق الثاني: الذي يرد فيه استعمال الذوق، فهو سياق العذاب ، وهو كثرة وروده في القرآن الكريم،: اختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأن ذلك، وإن كان في التعارف قليل، فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعم الأمرين. أو بعبارة أُخرى: أَن القرآن استعمل الذوق في العذاب ليبين للكفار، أن ما هم عليه من العذاب في الدنيا أقل من عذاب الآخرة؛ لأن الذوق إنما يستعمل في القدر القليل. وهذا ما تبينه من قوله

(١) مجمع البيان ١٢/ ١٤٥.
(٢) مجمع البيان ١٢/ ١٤٥.
(٣) التفسير الكبير: الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ). الطبعة الأولى. المطبعة البهية المصرية - مصر ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م. ١٧/ ١٩١.

تعالى: [وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون][1].

فيلحظ في هذه الآية أن الذوق استعير للعذاب، وهذه الاستعارة أبلغ، وأسرع تأثير في النفوس، ولذلك قال الرماني[2] (ت ٣٨٤هـ): ((حقيقته لنعذبنهم، والاستعارة أبلغ؛ لأن إحساس الذائق أقوى، لأنه طالب لإدراك ما يذوقه، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام، لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام)).

وعلى هذا فإن الإحساس بألم العذاب وإن لم يكن من المعنويات، إلا أن التعبير عنه بذوق اللسان أوضح وأظهر، لأن الذي يريد تذوق شيء إنما يتجه إليه، وهو منتبه إليه[3]. أو بعبارة أخرى: إن الإنسان إذا تذوق شيئاً شعر بمرارته أو حلاوته فيظهر تأثير ذلك عليه.

ومن استعمال القرآن للفعل (ذاق) للدلالة على العذاب أيضاً، قوله تعالى في القرى التي كفرت بأنعم الله: [فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ][4]، والمراد: (عذبها الله تعالى) ، وهذا فيه ضرب من التجسيم الفني لما هو معنوي؛ إذ صور الجوع في الآية –وهو معنوي– شيئاً حسياً وهو اللباس، وليس اللباس مما يذاق، وهذا من أروع التصوير في القرآن.

فيلحظ في هذه الآية أن (الذوق) مستعار، وضع موضع الابتلاء والاختبار. وقد أسند إلى اللباس، وليس اللباس مما يذاق، فكان للمفسرين في تأويل ذلك أقوال:

الأول: وهو ما قاله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في ضوء أساليب العرب: أما ((الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمس الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضرّ، وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما

(١) سورة السجدة ٢١.

(٢) النكت في أعجاز القرآن: ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٩٣،.

(٣) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم): الدكتور محمد محمد أبو موسى. الطبعة الأولى. مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٨٤م ، ص١٢٧.

(٤) سورة النحل ١١٢.

يدرك من طعم المر والبشع. وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس، فهو ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث. وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف))[1].

فوجه إيقاع الإذاقة على اللباس عنده يرجع إلى أن كلاً منهما يشتمل على البدن كله، فكما يغشى اللباس الجسم فكذلك الإذاقة.

والثاني: أن اللفظ مستعار، وأن التقدير أن الله عرفها لباس الجوع والخوف، إلا أنه -سبحانه وتعالى- عبر عن التعريف بلفظ الإذاقة، وإن كان أصل الذوق يستعمل بالفم، إذ قد يستعار فيوضع موضع التعرف، وهو الاختبار، يقال: ناظر فلان فلاناً وذاق ما عنده. ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن، وتغير الحال، وكسوف البال، فلما جاز أن يقال: تعرفت سوء أثر الخوف والجوع على فلان، فكذا جاز أن يقال: ذقت لباس الجوع والخوف على فلان[2] .

ويبدو أن الوجه الأول أقوى، لأن استعمال الذوق هنا لبيان شدة إصابتهم بالعذاب. فلما كان الذائق يشعر بشدة ما يتذوقه، فكذا الحال في تذوق العذاب، فهو وإن عبر عنه بلفظ الإذاقة الدالة على القلة، إلا أن أثرها كبير فكذا الحال في تذوق العذاب، فهو وأن كان قليلاً، إلا أن شدته وأثره كبيران على الذائق.

إن سياق الآية يقتضي أن يكون التعبير (كساها) بدلاً من أذاقها ليكون ملائماً(للباس) إلا أنه آثر الذوق؛ ((لأن الإذاقة أو الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ). دار الكتاب العربي - بيروت (د.ت). ٢/ ٦٣٩،.
(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٠ / ١٢٩.

عكس؛ فكان في الإذاقة اشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة))[1].

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه قال: لباس الجوع، وكان الأولى أن يكون التعبير (طعم الجوع)؛ ليكون ملائماً لقوله تعالى: (أذاقها)؛ ويرجع ذلك؛ إلى أن لفظ (الطعم) وإن كان ملائماً للفظ الإذاقة، إلا أنه لو قال: (طعم الجوع)، لما كان هذا التعبير مقوياً لبيان اشتمال الجوع والخوف لهم، وعموم أثرهما في جميع البدن. كما تعم الملابس الجسم وتغطى جميع البدن، فحصل بذلك من لفظ الإذاقة المبالغة في عموم ألم الجوع والخوف، فأصبح شاملاً لكل جزء من أجزاء الجسم، وهذا المعنى يفوت لو كان التعبير (طعم الجوع)

وقد عبر القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي المزيد بالهمزة من هذا الفعل عن دلالة الإنالة[2]، وهي دلالة معنوية(مجازية)، وذلك في بيان موقف الإنسان إذا نال نعمة بعد ضر أصابه، فقال تعالى:[**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**][3]. والمراد: ((إذا أذاقهم رحمة بأن يخلصهم من تلك الشدة التي دعوا فيها الله وحده، مروا بعد ذلك على شركهم))[4].

و في تفسير قوله تعالى: (أذاقهم) لطيفة، وهي: ((أن الذوق يقال في القليل فإن العرف أن من أكل مأكولاً كثيراً لا يقول: ذُقْتَ، ويقال في النفي: ما ذُقْتُ في بيته طعاماً نفياً للقليل؛ ليلزم نفي الكثير بالأولى، ثم إن تلك الرحمة لما كانت خالية منقطعة، ولم تكن مستمرة في الآخرة؛ إذ لهم في الآخرة عذاب، قال: أذاقهم، ولهذا قال في العذاب: [**ذُوقُوا**

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت بعد ١٣٧٧هـ). مكتبة الآداب المطبعة النموذجية – القاهرة (د.ت). ١/ ١٤١.

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسن بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ) الطبعة الأولى. دار العلم للملايين -بيروت- ١٩٧٠م. ص١٨٦.

(٣) سورة الروم ٣٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السرّي الزجاج (ت ٣١١هـ).. الطبعة الأولى. عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ٤/ ١٨٦.

مَسَّ سَقَرَ[1].

[ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ][2]، **[ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ]**؛ لأن عذاب الله الواصل إلى العبد بالنسبة إلى الرحمة الواصلة إلى عبيد آخرين في غاية القلة)).

وقد استعمل القرآن صيغة فعل الأمر (ذُقْ) في الدلالة على ((الوجود والابتلاء بالعقوبة)) ، وذلك في قوله تعالى: **[ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم]**[3]، فهذه الآية نزلت في أبي جهل حين قال للرسول -صلى الله عليه وسلم- مادحاً نفسه: ((إني لأكرم أهل الوادي على قومه، وأعزّهم))، فنزلت هذه الآية كما قال[4]؛ سخرية منه وإهانة له.

فيلحظ أن هذا التركيب الإضافي المزدوج (العزيز الكريم) خرج من معناه الحقيقي إلى ضرب من التجوّز الاستعاري[5]، وهو ما أطلق عليه (الاستعارة العنادية) ، فقد أطلق هذا اللفظ وأريد به خلافه.

ومن هذه الدلالة أيضاً قوله تعالى: **[كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم]**[6]، أي سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وإثبات الذوق ، من قبيل الاستعارة المكنية التخيلية[7].

(١) سورة القمر ٤٨.

(٢) سورة العنكبوت ٥٥.

(٣) سورة الدخان ٤٩.

(٤) معاني القرآن: الفراء، مصدر سبق ذكره ٣/ ٤٤.

(٥) الدلالة في البينة العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: الدكتور كاصد ياسر الزيدي دار الكتب العلمية بيروت ص١٣.

(٦) سورة الحشر ١٥.

التحرير والتنوير: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن العاشور (ت ١٣٩٠هـ). دار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤م. ٢٨/ ١٠٨.

(٧) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ). الطبعة الرابعة. دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ٥/ ١٩٧٤

فيتبين مما تقدم أن القرآن الكريم استعمل فعل الذوق بدلالته الحسية، والمعنوية، وقد أفاد بدلالته المعنوية معاني، وردت في سياقين: سياق الرحمة، وسياق العذاب، وأكثر وروده كان في سياق العذاب، وخاصة في مواضع الابتلاء والعقوبة؛ ليدل بذلك على أن العذاب الذي يلقاه الكفار في الدنيا قليل، إذا قيس بعذاب الآخرة، وما ذلك إلا لدقة استعمال القرآن للألفاظ، ووضعها الموضع الذي لا يغني عنه غيره.

(٢) دلالة الفعل (طعم):

يستعمل لفظ (الطعم) في المشروبات كما يستعمل في الطعوم. فالطَّعْمَ -بالفتح- في اللغة: طَعْمُ كل شيء، وهو ذوقه. أو ما يؤديه الذوق، والعرب تقول: (مر الطعم، وحلو الطعم، معناه: الذوق)[١]، ومنه التَطَعُّمُ: التَذَوُّقُ. تقول: (طَعِمَه طَعْماً وتَطَعَّمه: ذاقه فوجد طَعْمَهُ). وطَعِمْتُ الشيء: أكلتُهُ وذُقْتُهُ. والطُعْمُ -بالضم- الطعام. [٢]

استعمل القرآن الكريم صيغة الفعل المضارع المسبوق بأداة الجزم (لم) من هذا الفعل للتعبير عن الدلالات الحسّية لهذا الفعل، وهي دلالات تذوّق المشروب، وذلك في قوله تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى**][٣]. والمعنى: ((ومن لم يذقه))[٤]. ويشعر بأن (الطعم) هنا دال على القليل مقابلته في السياق

(١) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ). دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٢م. طباعة شركة المطابع النموذجية عمان-الأردن. ٢/ ٢٦

(٢) أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨ هـ). الطبعة الثالثة. الهيئة المصرية العامة للكتابة -القاهرة- ١٩٨٥ م. ٢/ ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٤٩.

(٤) البحر المحيط: أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت ٧٤٥هـ). الطبعة الأولى. مكتبة ومطابع النصر الحديث - الرياض (د.ت) ٢/ ٢٦٤.

بالشرب؛ إذ تقدم قوله (شَرِب منه) على قوله (لَمْ يَطْعمه)، وهذا ضرب من التقابل الدلالي بـ(الخلاف). وذكر الفخر الرازي[1] فائدتين في اختيار هذا اللفظ دون غيره:

الأولى: أن الإنسان إذا عطش جداً ثم شرب الماء، وأراد وصف ذلك الماء بالطيب وصفه بالطعوم اللذيذة فيقول: إن هذا الماء كأنه الجلاب، وكأنه عسل، فقوله: (ومن لم يطعمه) يدل على أنه وإن بلغ به العطش إلى حيث يكون ذلك الماء في فمه، كالموصوف بهذه الطعوم الطيبة، فإنه يجب الاحتراز عنه وأن لا يشربه.

الثانية: أن من جعل الماء في فمه دون أن يبلعه وتمضمض به ثم أخرجه، من فمه، فانه لا يصدق عليه أنه شربه، وإنما يصدق عليه أنه ذاقة وطعمه، فلو قال: (ومن لم يشرب فإنه مني)، كان المنع مقصوراً على الشرب، أما حين قال: (ومن لم يطعمه) كان المنع حاصلاً في الشرب، وفي المضمضة. ومعلوم أن هذا التكيف أشق، وأن الممنوع من شرب الماء إذا تمضمض به وجد في ذلك نوع راحة.[2]

وهذا يعني أن تذوق العطشان الماء له تأثير حسن في نفسه وأن لم يشربه، لذا جاء الفعل هنا ناهياً عن تذوق المشروب وشربه، فيعم النهي التذوق والشرب جميعاً، فإذا نفى التذوق نفى الشرب، أما إذا نفى الشرب لم يستلزم بالضرورة نفي التذوق، لذلك جاء الفعل ناهياً عن التذوق ليعم التذوق والشرب معاً.

فهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه الفعل(طعم) بدلالته الحسِّية، غير أن القرآن أستعمل هذا الفعل؛ ليدل دلالة معنوية(مجازية) أيضاً، على معان عدة منها دلالته على معنى (الرزق) ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

(١) التفسير الكبير للرازي ٦/ ١٩٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٩.

وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ](١). المراد: أنه ((يرزق الخلق ولا يرزقه أحد))(٢).

وقد دل الفعل (طعم) دلالة معنوية على معنى الأكل، وذلك في قوله تعالى: [**قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُه**](٣)، والمعنى: (على آكلٍ يأكله)(٤).

وقد عبر القرآن في سياق آخر بصيغة المضارع من هذا الفعل عن دلالة (إعطاء الطعام)، وذلك بقوله تعالى: [**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً**](٥)، والمعنى: (يطعمون الطعام أشدَّ ما تكون حاجتهم إليه للمساكين).

فيتبين مما تقدم أن الفعل (طعم) في القرآن الكريم أستعمل بدلالتين: إحداهما حسية (حقيقية) وهي التذوق، وذلك في موضوع واحد، والأخرى معنوية(مجازية)، وهو دال على معانٍ، وذلك ضرب من التوسع في استعمال هذا الفعل، واشتقاق معنى مجازي منه(٦).

(١) سورة الأنعام ١٤.
(٢) مجمع البيان ٧/ ٢٧٩.
(٣) سورة الأنعام ١٤٥.
(٤) مجمع البيان ٨/ ٣٧٨
(٥) سورة الإنسان ٨.
(٦) مجمع البيان ٢٩/ ٤٠٧.

المبحث الثاني

دلالة أفعال اللمس

دلالة فعل اللمس:

مفهوم اللمس في اللغة: طلب الشيء باليد من ههنا وهنا. نقول: (تَلَمّست الشيء: إذا تطلَّبْتَه بيدك). والالتماس: الطلب. وقد يستعمل مجازاً. يقال: (لمسَ المرأة ولامسها: جامعها).[1]

قال الراغب: (اللمس إدراك بظاهرة البشرة كالمَسّ).[2]

واللمس نظير المسّ ومرادفه، إلا أن هناك فروقاً طفيفة بينهما تتجلى فيما يأتي:

١) إن اللمس قد يستعمل لطلب الشيء وإن لم يوجد، في حين يستعمل المسّ فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس

٢) إن المس يراد به (الجمع بين الشيئين على نهاية القرب، واللمس مثله لكن مع الإحساس). وهذا يعني أن اللمس يحدث بين شيئين يكون بينهما إحساس، ولا يستلزم أن يكون بين حيين، وقد وهم الرماني (٤٨٤هـ) حين ظنّ أن اللمس لا يكون إلا بين حيين والدليل على ذلك ما ورد في القرآن من آيات، منها قوله تعالى: [**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ**][3]. فالمراد به القرآن، وهو ليس بكائن حي، وقد يكون

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٢١٠ (لمس).
(٢) المفردات مادة (لمس). ص٦٨٧
(٣) سورة الأنعام ٧.

بين حيين مثل: لمسته بيدي، ومنه لمسُ الرجل لأهله: [**أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ**][1].

٣) إن اللمس يكون باليد خاصة دون غيرها ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، على حين أن المسّ يكون باليد، وبغيرها كالحجر وغيره، ولا يقتضي أن يكون باليد .

وفي القرآن الكريم وردت مادة (لمس) في خمسة مواضع[2]. أربعة منها بصيغة الفعل، وواحد بصيغة الاسم. وقد وردت بدلالات عدة: حسّية (حقيقية)، ومعنوية (مجازية)، ومنها كنائية معبّراً بها عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة.

فقد استعمل القرآن فعل اللمس بصيغة الماضي مؤكداً بـ(الأيدي) للدلالة على اللمس باليد، وذلك في قوله تعالى: [**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إلا سِحْرٌ مُبِينٌ**][3]. فاللمس هنا بالأصابع، بدليل التوكيد الذي ورد في السياق، وهو الجار والمجرور (بأيديهم)، وبدليل القرنية السياقية المتقدمة وهي (قِرطاس). فاكتنف فعل اللمس قرينتا السياق (المتقدمة والمتأخرة)؛ للأشعار بأن اللمس هنا حسّي حقيقي، وليس معنوياً مجازياً. والمعنى: (فعاينوا ذلك معاينة ومسّوه بأيديهم)[4].

وقد ذكر اللمس هنا دون غيره، (لأنهم لم يقتصروا على الرؤيا لئلا يقولوا سُكّرت أبصارنا. ولما كانت المعجزات مرئيات ومسموعات، ذكر الملموسات مبالغة في أنهم لا

(١) سورة النساء ٤٣.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية. دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ص٨٢٩.

(٣) سورة الأنعام ٧.

(٤) جامع البيان في وجوه تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. ١١/ ٢٦٥،

يتوقفون في إنكار هذه الأنواع، حتى أن اللمس باليد، هو عندهم مثل المرئي بالعين والمسموع بالأُذن. وذكر اليد هنا... مبالغة في التأكيد؛ ولأن اليد أقوى في اللمس من غيرها من الأعضاء). وقيل: إن (اللمس باليد أبلغ في الإحساس من المعاينة، ولذلك قال: (فلمسوه بأيديهم) دون أن يقول: فعاينوه)[1].

وقد أستعمل القرآن فعل (اللمس) مستعاراً للطلب، وذلك في محاولة الجن الصعود إلى السماء لاستراق السمع، إذ قال تعالى على لسانهم: [**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً**][2]، والمعنى: (طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها). وقد علل الرازي استعارة اللمس هنا للطلب، فقال: (اللمس: المسّ، فاستعير للطلب؛ لأن الماس طالب متعرّف، يقال: لَمَسَهُ والتَمَسَهُ)[3] .

وقد حمله ابن عاشور على الاختبار، والمعنى عنده: (إننا اختبرنا حال السماء لاستراق السمع، فوجدناها كثيرة الحراس من الملائكة وكثيرة الشهب للرجم)[4].

وورد فعل (اللمس) كناية عن الجماع بصيغة (فاعل) وذلك في كلا الموضعين الذين ورد فيهما، وهو قوله تعالى: [**أَوْ لَـمَسْتُمُ النِّسَاءَ**][5]، وقد قرأت (لامستم) بصيغتين:

الأولى: صيغة (فاعَلَ) وهي (لامَسَ) -بالألف- .

والثانية: صيغة (فَعَلَ) ، وهي (لَمَسَ) -بغير ألف- .

وللمفسرين في تأويل هذه الآية قولان:

الأول: أن المراد باللمس الجماع، وهو قول علي كرم الله وجهه وابن عباس -رضي

(١) مجمع البيان ٧/ ٢٧٦.

(٢) سورة الجن ٨.

(٣) التفسير الكبير ٣٠/ ١٥٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٢٧ .

(٥) سورة النساء ٤٣ ،

الله عنه- وعليه مجاهد والسدي وقتادة، واختاره أبو حنيفة والجبّائي المفسرّ المعتزلي.

والثاني: المراد به اللمس باليد وغيرها ، وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود -رضي الله عنهما- وقول الشعبي وعطاء، واختار الشافعي.

وكما اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية، اختلفوا كذلك في الراجح أو الصحيح منهما، فكان الطبرسي (ت ٤٨٥ هـ) يرى أن الأول هو الصواب وحجته في ذلك: (أن الله سبحانه بين حكم الجنب في حال وجود الماء، بقوله: [**وَلا جُنُباً إلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا**][1]، ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله: [**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ**][2]، فلا يجوز أن يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء، مع أنه جرى له ذكر في الآية، ويبين فيه حكم المُحدِث ولم يجر له ذكر، فعلمنا أن المراد بقوله [**أَوْ لَـمَسْتُمُ**]: الجماع، ليكون بياناً لحكم الجنب عند عدم الماء). [3]

على حين ذهب الرازي إلى أن القول الثاني هو الصواب ، لأنه يرى ضرورة حمل اللفظ على معناه الحقيقي ، وهو المس باليد لأعلى معناه المجازي الذي هو الجماع .

والظاهر أنه لا فرق بين القولين ، إذ ليس اللمس إلا وسيلة يتوصل بها إلى الجماع ، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الطبرسي من أن الجماع سمّي لمساً؛ لأنه يتوصل به إلى الجماع. غير أن حمل الملامسة هنا على غير الجماع بعيد؛ لأنه يقتضي الغسل أو التيمم عند مجرد اللمس بالجسم . وهو ما لم يعمل به إلا الشافعية على ما هو مشهور عنهم .[4]

---

(١) سورة النساء/ ٤٣.

(٢)التفسير الكبير ١٠/ ١١٢.

(٣) مجمع البيان ٥/ ٥٢.

(٤) مجمع البيان ٥/ ٥٢.

المبحث الثالث

دلالة فعل الشم

دلالة فعل (الشم):

الشم لغة: يدل على المقاربة والمداناة. يقال: (شَمِمْتُ الشيء أَشَمُّهُ)، وأشْمَمْتُ فلاناً الطِيْبَ[1].

وفي القرآن الكريم لم يذكر (الشم) صريحاً بخلاف الحواس الأخرى، إذ ذكرت الحواس الأربع: (السمع، والبصر، واللمس، والذوق)، أكثر من مرة. وذلك لأن الحواس المذكورة فيها تكليف، إذ وردت في سياق الامر والنهي وغير ذلك. أما الشم فلا تكليف فيه، وإن كان المتتبع لآيات الحواس في القرآن الكريم يجد أن هناك ما يؤول إلى الشم، وذلك في موضعين: أحدهما يتعلق بالدنيا، والآخر يتعلق بالآخرة.

فأما الأول: فيتجلى في قول يعقوب -عليه السلام- حين قدم البشير إليه بقميص يوسف -عليه السلام- الذي بينه قوله تعالى: [**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ**][2]. فشمّ يعقوب لرائحة يوسف يعدّ من المعجزات التي أنعم بها الله -سبحانه وتعالى- عليه. غير أنه لم يعبّر عنه بلفظ الشمّ، بل عبر عنه بالوجود، حين قال: [**لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**]، أي: أشمّه. وأيضاً فإن المراد بالريح هنا: (الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم)[3]. وهو لفظ مشترك له أكثر من معنى، أحدها (الريح).

(١) مقاييس اللغة ٣/ ١٧٥ (شمّ).
(٢) سورة يوسف/ ٩٤.
(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ٥٢.

وأما الموضع الثاني: فهو في اليوم الآخر في وصف الجنة التي أعدها الله للمتقين، إذ عبر عنه بـ(العَرْف) بصيغة الفعل الماضي (عَرَّفَها)، وذلك في قوله تعالى: [**وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**][1].

وقد أول (عَرّف) بتأويلين[2]:

أحدهما: أن يكون من (العَرف)، وهو الرائحة الطيبة الزكية، والمراد: طيبها لهم. يقال: طَعمٌ معرَّف أي مطيَّبٌ.

والآخر: أن يكون من (التعريف) وهو التبيين بالوصف، والمراد: عرّفهم منازلهم فيها، وبينها لهم.

والذي يبدوا -والله أعلم- أن التأويل الثاني هو الراجح؛ بدليل ما ورد من آيات يصف بها الله -سبحانه وتعالى- الجنة التي أعدها للذين آمنوا به وبرسله واليوم الآخر، ومنها قوله تعالى: [**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً**][3]، وقوله تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـلِحَاتِ لَهُمْ جَنَّـتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـرُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ**][4]، وغير ذلك كثير.

(١) سورة محمد / ٦.
(٢) تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م. ص١٤٢.
(٣) سورة النبأ / ٣١-٣٥.
(٤) سورة البروج ١١.

الخاتمة

ان لكل بداية لابد من نهاية فكانت اهم النتائج التي تتعلق بهذا البحث هي:

١. إن الحواس من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وميزه بها عن الحيوان، فجعلها-سبحانه وتعالى-وسائل يتمكن بها الإنسان من معرفة خالقه، فيستدل بها على وجوده، وقدرته، وعظمته، ويستمتع بها في حياته، وما يتعلق بآخرته. لذا فإن القرآن كثيراً ما يستعمل تلك الحواس لتحقيق هذه الغاية. فهي بهذا وسائل للمعرفة.

٢. ذكر القرآن الكريم الحواس ، وهي (والذوق، واللمس، والشم) على تفاوت في القدر الذي استعمله من كل واحدة منها، فقد دار أكثر ما فيه على الحواس الأربع الأولى، إذ عليها مدار التكليف، فليس الشم نظيراً لها في الأهمية؛ وإن كان نافعاً، بدليل قلة وروده في القرآن الكريم، وذلك في سياق دنيوي، وفي سياق أخروي احتمالاً لا قطعاً.

٣. وردت أفعال الحواس في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، وهي صيغ الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، ولكل من هذه الصيغ استعماله الخاص، ودلالته الخاصة، فقد استعمل القرآن -مثلاً- الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) الناهية في المواضع التي ينفي فيها السمع والإبصار عن الكفار، إما بعبارة (لا يسمعون) أو (لا يبصرون). فيفيد استمرار وتجدد نفي السماع والإبصار عنهم.

٤. اختلفت أفعال الحواس في القرآن الكريم من حيث تعديتها إلى مفاعيلها، إلا أن الغالب عليها التعدي إلى مفعول واحد، وذلك متعلق باقتضاء الحاسة مفعولاً فقط، بحسب السياق والمعنى.

فهذه أهم النتائج التي في هذا البحث أختمها بحمد الله، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. القران الكريم
٢. أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨ هـ). الطبعة الثالثة. الهيئة المصرية العامة للكتابة –القاهرة– ١٩٨٥ م.
٣. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسن بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ) الطبعة الأولى. دار العلم للملايين –بيروت– ١٩٧٠م.
٤. الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم): الدكتور محمد محمد أبو موسى. الطبعة الأولى. مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٨٤م ،
٥. البحر المحيط: أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت ٧٤٥هـ). الطبعة الأولى. مكتبة ومطابع النصر الحديث – الرياض (د.ت)
٦. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت بعد ١٣٧٧هـ). مكتبة الآداب المطبعة النموذجية – القاهرة (د.ت).
٧. التحرير والتنوير: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن العاشور (ت ١٣٩٠هـ). دار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
٨. التفسير الكبير: الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ). الطبعة الأولى. المطبعة البهية المصرية – مصر ١٣٥٧هـ–١٩٣٨م.
٩. تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٧٨هـ–١٩٥٨م.
١٠. جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت

٣١٠هـ). دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١١. الدلالة في البينة العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: الدكتور كاصد ياسر الزيدي .
١٢. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ). الطبعة الرابعة. دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٣. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ). دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٢م. طباعة شركة المطابع النموذجية عمان-الأردن.
١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ). دار الكتاب العربي - بيروت (د.ت).
١٥. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ). دار صادر - بيروت (د.ت) مادة (ذوق) .
١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت ٤٨هـ)، دار إحياء التراث - بيروت ١٣٧٩ .
١٧. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج (ت ٣١١هـ).. الطبعة الأولى. عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية. دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٠. المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعرف بـ(الراغب الأصبهاني) (ت ٤٢٠هـ). الناشر: مكتبة الانجلو المصرية. المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠م.